

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 4 - سورة عبس - تفسير الآيات 24 - 32 ، التفكير في نعم الله للاعطاء

20-04-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، الآيات الرابعة والعشرون والتي بعدها، وهي قوله تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ (32)﴾

[سورة عبس]

أيها الإخوة الكرام، علماء الأصول قالوا: كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، المسلمون في أواخر عهدهم ؛ في عصور تخلفهم فهموا الدين عبادات شعائرية صلاةً وزكاةً وصياماً وحجاً بينما كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، هذه اللام لام الأمر، قال تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه، فأنت مأمور أيها الإنسان أن تُفكر في طعامك، كأس الماء هذا من أين جاء، كيف أصبح عذباً فُرَاتاً بعدما كان ملحاً أجاباً ؟ من أعطى خصائص التَّبْرُّ للماء ؟ من جاعل الماء يَتَّبَرُّ بَدْرَجَاتٍ دُنْيَا ؟ ومن جعل الهواء يَحْمِلُ بُخَارَ الْمَاءِ بِتَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ؟ من ساق الرياح لتسوق السحاب؟ كيف واجه السحاب المتحمل لبخار الماء جبهةً باردةً فَتَخَلَّ عَنْ الْمَاءِ الزَائِدِ فَأَصْبَحَ مَطْرًا ؟ كيف سلكه ينابيع ؟ كيف تفجرت الينابيع ؟ كيف كان هذا الماء العذب ؟ فمثلا في أندنيسيا أربعين ألف جزيرة لكل جزيرة نبع ماءٍ خاص بها يتناسب مع مساحتها، في بعض الجبال بهملايا ينابيع ماء في قمة الجبل ولا يمكن أن تُفسَّر هذه الظاهرة إلا بِمُسْتَوْدِعٍ فِي جَبَلٍ أَعْلَى، من أجل الوُعول، إذ تعيش هناك في القمم حيوانات اسمها الوُعول، وهذه الحيوانات ينبغي أن تشرب، لها ينابيع في قمم الجبال، ولا بد أن يكون مُسْتَوْدِعٌ هَذَا الْمَاءِ فِي جَبَلٍ أَعْلَى، كما أنه لا بد من تَمْدِيدَاتٍ، حتى أن بعض الأنهار في الجُزُرِ كَنَهْرِ التَائِمُزْ فِي بَرِيطَانِيَا، كُلُّ أَمْطَارِ بَرِيطَانِيَا لَا تَكْفِي لِعِزَارَةِ هَذَا النَّهْرِ، يقولون : إِنَّ مُسْتَوْدِعَاتِهِ فِي أَوْرُوبَا، وهوناك تَمْدِيدَاتٍ تَحْتَ الْأَرْضِ، فَفَضِيَّةُ الْمَاءِ الْعَذْبِ هَسَ قَضِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى تَأْمُلٍ شَدِيدٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ :

﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) ﴾

[سورة الحجر]

الإنسان لا يستطيع أن يُخزّن الماء أبداً فإذا خزّنه فسَدَ، أما ربُّنا جلّ جلاله يُخزّن الماء العذب الفُرات في جُيوبٍ في أعماق الجبال، وهناك فتحات مُقَنَّة، فَمَثَلًا نبع الفيحة من ستّة عشر متر بالثانية إلى نصف متر بالثانية إلا أنّ مُستودعه من نبع الفيحة إلى قُرب حمص، ومن سيف البادية إلى جنوب لبنان ؛ هذا هو حَوْض ماء الفيحة، كُلُّ هذه المدينة لا قيمة لها إطلاقاً ببيوتها وشوارعها ومُستشفياتها من دون هذا النَّبع، فلو أنّ الله سبحانه وتعالى أوكل لنا تخزين المياه لاحتاج كُلُّ بَيْتٍ إلى مساحة بَيْتٍ آخر بالضبط، فطيلة العام يحتاج الإنسان إلى الماء العذب ما يُساوي مساحة بَيْتِهِ، فإله تعالى تولى لنا تخزين الماء، وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) ﴾

[سورة الحجر]

ذَكَرْتُ قبل يومين في حُطبة الجمعة أنّ مِرْصَجاً عَمِلاقاً أوريبياً يعمل بالأشعة الحمراء اكتشفت وجود سحابة في الكون، وهذه السحابة يُمكن أن تملأ مُحيطات العالم بسِتِّين مرّة في أربعٍ وعشرين ساعة ! والأرض كما تعلمون أربعة أحماسها مُحيطات، اليابسة خُمس، فقارة آسيا وأوروبا وإفريقيا وأمريكا الشماليّة والجنوبيّة، وقارة المُتجمّد الجنوب كُلُّ هذه القارات تُساوي خُمس مساحة الأرض ! والمُحيط أعماقه في بعض المُحيطات اثني عشر ألف متر !!! في وادي مريانة بالمُحيط الهادي وهو أعَمَق نَقْطة في المُحيط، هذه المُحيطات تملؤها هذه السحابة سِتِّين مرّة في يومٍ واحد قال تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) ﴾

[سورة الحجر]

يوهْمنا أعداؤنا أنّ هناك حرب مياه، فهذا النَّقْنين تقنين تأديب لا تقنين عَجْز ! ذَكَرَ لي أخ البارحة كان بحوران فقال لي : القمّح هناك أعلى من قامة الإنسان وخيراتٍ لا يعلمها إلا الله، حوران وحدها كانت تُطعم الدّولة الرومانيّة!

ورومانيا كان فيها تسعة وخمسون مليون نسمة، ويذكر التاريخ أنّ عدد الساكنين بسوريا في العهد الروماني تسعة وخمسون مليون، وحوران وحدها تُمدُّ هذه الملايين المُملئنة بالقمّح الذي يَحْتَلُّ أعلى درجة في المواصفات، فرُبُّنا أيّ شيء عنده خزائنه، وفي إحدى السنوات وهذه ذَكَرْتها لكم كان استهلاك القطر كُلُّه مليون طنّ القمّح، وكان إنتاجنا للقمّح ثلاثة ونصف مليون، فإله تعالى إذا أعطى أدهش ! وفي سنة من السّنوات كان هناك شحّ للمياه في دمشق، والمياه الجوفية انخفض مُستواها إلى درجة كبيرة جداً حتى أصبح هناك عطش مُهدِّدون به جاءت سنة مجموع أمطار دمشق ثلاث مائة وخمسون ملم، هناك

ينابيع من ثلاثين عاماً تَفَجَّرَتْ، مياه عين منين وصلت إلى بَرْزَة وعين الصاحب تَفَجَّرَتْ، عشرات الينابيع في غوطة تَفَجَّرَتْ، وكانت قد جَفَّتْ من ثلاثين عاماً، فلا أحد يقلق على نَقْص المياه والغذاء فهذا من وَهْم الكُفَّار لنا، أن هناك أُرْمَة سُكَّانِيَّة وأنفجار سُكَّاني، ونَقْص للمياه يُنَوِّعون، فَمَرَّةً يقولون حَرْبُ نَقْط، ومَرَّةً حَرْبُ قَمْح، والآن حَرْبُ مياه وإذا الله عز وجل قَنَّ فهو تَقْنِين تأديب لا تَقْنِين عَجْز، قال تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) ﴾

[سورة الحجر]

وقال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) ﴾

[سورة عبس]

فأنت تأكل ثلاث وَجَبَات باليوم، فكَاس الحليب مَثَلًا لو خطر بِبَالِكَ من أين يأتي ؟ هذه البقرة، وهذا المَعْمَل الصامت، ومعمل الغذاء الكامل فيه الكالسيوم والمغنزيوم والحديد والفسفات وفيتامينات ومواد سُكَّرِيَّة ومواد دَسِمَة ومواد مُرَمِّمَة، وهناك بقر يُعْطَى ستين كيلو في اليوم فلو كان هذا الحليب لولدها فهو لا يحتاج إلا كيليين حليب، والآن أصبح هناك تهجين بقر على بقر من نوع آخر، أصبح يُنتِج باليوم ستين كيلو حليب باليوم ! فالدم يَمُرُّ في الخَلِيَّة النَّدْيِيَّة البقريَّة على شَكْل قُبَّة وحول هذه القُبَّة مجموعة شَعْرِيَّات كثيفة جداً، أربع مائة حجم من الدَّم تمرُّ في هذه الشَعْرِيَّات كي يصنَّع حُجْم حليب واحد، فكلُّ لتر من الحليب يُسْهَم في صنَّعه أربع مائة لتر دم تمشي في قُبَّة هذه الخَلِيَّة النَّدْيِيَّة، والخَلِيَّة النَّدْيِيَّة المُصَيَّعَة للحليب حتى الآن لا أحد يعرف كيف تَعْمَل وكأَنَّهَا عَقْل فالدَّم يمرُّ في أعلاها، فَتَخْتَار الدَّم من بين فَرْثٍ ودمٍ، فالفرث هذه الفضلات السائِلة، نحن لدينا فَرْث جامد وهو الغائط، وفَرْث سائل وهو حمض اللَّبْن وفَرْث غازي وهو غاز الفَحْم، نواتج الاحتراق الصُّلْبَة غائِط، والسائلة حَمُض البول بالدم، والغازيَّة غاز الفَحْم، فَرُبْنَا عَزَّ وجل قال : هذه الخَلِيَّة النَّدْيِيَّة تَخْتَار مواد السُّكَّرِيَّة من الدم، مواد بروتينيَّة والدَّهْنِيَّات، والفيتامينات، والمعادن، تختار غذاء كامل قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسِفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

لِلشَّارِبِينَ (66) ﴾

[سورة النحل]

فكأس الحليب هو من فضل الله عز وجل، قال تعالى :

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) ﴾

(سورة النحل)

خُلِقَتْ خَصِيصاً لَكُمْ، ودَلَّلناها لَكُمْ، أحد إخواننا بجوير حكي لي أن بقرةً جَنَّتْ فَقَتَلَتْ أو رجل والثاني والثالث، واستنطاع صاحبها أن يُلقِي عليها الرصاص فَقَتَلها، وتَمَنها سبعين ألف، فَهُوَ أساساً جَنُّ بأوروبا إذ خالفوا منهج الله عز وجل وأطعموا البقر طحين اللّحم، والجيف، والبقر مُصَمَّم لِيَأْكُل النباتات، فهو حيوان نباتي فهم تشاطروا وأطعموه الجيف فأصبح هناك جُنون البقر فاضطَّروا لِيَعْدَموا ثلاثة عشر مليون بقرة ! ثمنها ثلاثون مليار جُنْيَه استنزَليني ! ثم بعد هذا عرفوا خَطَأهم، والآن مُنِيَّتْ بريطانيا بأكبر كارثةٍ بِحَيَاتها في موضوع جُنون البقر لأنَّه بأسُتْزاليا أطلقوا النار على عشرين مليون غنَمَة للحِفاظ على أسعار الغنَم مُرتَفَعَة ! ودُفِنَتْ تحت الأرض فالكافر وَحْش، فكم من شَعْبٍ يموت من الجوع ؟ عشرين مليون غنَمَة للحِفاظ على أسعار الغنَم مُرتَفَعَة ! قال تعالى :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) ﴾

[سورة عبس]

أنظر إلى هذه الغنمة والبقرة من خلقها ؟ ومن جَعَلها مُدَلَّة ؟ لو أن الله تعالى رَكَّب أخلاق الضبِّع بالغنمة ! وهذا الزَّيْتون من أرقى أنواع الدُهْن وهو يُعَدُّ الآن دواء وليس غِذاءً فهو دواء للضَّعْط المُرتَفَع والكولِستِرول المُرتَفَع، ولتصلُّب الشرايين والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

((عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا الزَّيْتِ وَأَدْهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ))

[رواه الترمذي]

فأنت تأكل اللبْن والجُبْن والقشْطَة وكلَّ مُشْتَقَات الحليب، فَمَنْ الذي سَخَّر هذا المعمل المُدْهَل ؟! ورَوْتُ البقر سماءُ غالٍ، فالسَّماد العُضوي أعلى سماء روثُ البقر ثَمَنُ الكيلو عشرُ ليرات وجلدها للأحذية والمصنوعات الجُدِيَّة، ولحمها يُؤْكَل، هناك جداران وسط النَّدْي مُتعامدان، وهناك أربع حُلمات للبقرة، كلَّ حلْمَة تُعْطِي ربع الضرع تماماً، وهو مُقسَّم إلى أربع أَجْواف، وهل فَكَّرْتَ بالقَمْح فهو يُنْضَج بيوم واحد، والبندورة تُنْضَج على ثلاثة أشهر، لو كان الحقلُ يُنْضَج بيوم واحد ماذا نفعل بالطماطم، وكذا البطيخ ! من الذي صَمَّم أنَّ البطيخ له حلزون يمسكها الفلاح فإذا أنكسر معنى ذلك أن قد نضجت وإذا لم ينكسر أي لم تنضج بعد ! أما القَمْح والعدس والحمص بيوم واحد فالمحاصيل الأساسية تنضج بيوم واحد، أما أشجار الفواكه وغيرها فَيَأْتَسَلُّسَلُّ، من برْمَج هذه الأمور، فالله تعالى قال :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعَبَبْنَا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29)﴾

[سورة عبس]

شجرة التمر تعيش ستة آلاف سنة، أطول شجرة مُعمّرة، وفيها ستة وأربعون مادةً غذائية، وأسرع مادةً سُكّريّةً على الإطلاق تنتقل من الفم إلى الدم، فإذا جلس الإنسان ليأكل لو أكل عشر أضعاف لن يشبع حتى يصل السُكّر إلى مركز الشبّع، فالنبي عليه الصلاة والسلام عَلّمنا أن نأكل التمر أولاً، كيف أنّ القمح مادةً أساسيةً جداً لنا ؛ يُسمّوه مَحْصول استراتيجي، التّبْن المادّة العلفيّة الأولى، والحيوان يستطيع أن يعيش على التّبْن فقط، قال تعالى :

﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)﴾

[سورة عبس]

يجب أن تُفكّر في خلق السماوات والأرض، وفي طعامك، فلا بدّ أن تُعمِل العقل في الآيات الكونيّة لأنها طريق الإيمان بالله عز وجل.